صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس
Propriétaire - Rédacteur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس
Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
ص. ب ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون ٢٣٢٨٣٢
AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - LIBAN
الادارة : شارع سوريا ـ بناية درويش
B.P. 4123 - Tel. 232832

العدد السابع
تموز (يوليو)
السنة السادسة عشرة

* *

No. 7
Juillet
16 ème année

شيخ الكرامة

قصة بقلم الدكتور سهيل ادريس

انبثق من الارض فجأة ، لا ندري متى وكيف . كانت الارض مزروعة بالانقاض ، حطام اخشاب وشظايا قنابل وحدائد ملتوية وحجارة مبعثرة . وكأننا أغمضنا أعيننا لحظة واحدة ، وحين فتحناها ، كان منتصبا في الساحة تجاهنا ، وسط الانقاض ، كأنه عمود سقط من السماء ، او نبع من التراب .

وقلت لرفيقي الشاعر :

ـ عجبا ! اين كان هذا الشيخ ؟

فأجاب متسائلا :

ـ لا ادري . الا ترى أنه أشبه بشبح منه بانسان من لحم ودم ؟

وظللنا لحظة ننظر الى الشيخ وهو واقف لا يريم ، ثم جعل يتقدم منا بخطوة واسعة ثابتة لا تشي بأنه يتجاوز السبعين كما يوحي مظهره لاول وهلة . كان ممسكا بندقية بكلتا يديه ، وكان يعتمر عمامة المشايخ التقليدية ، ولكنه لا يرتدي جبتهم الطويلة المعهودة ، بل يستعيض عنها بسروال رمادي منتفخ شد عند أسفله بسير حذاء جبلي ثقيل لم يكن ، مع ذلك ، يعوقه في مشيته . وكانت لحيته تكاد تكون كلها بيضاء ، ذات شعر طويل متنافر لا يبدو ان المقص قد مسه منذ عهد قريب .

قال لنا مرافقنا الفدائي بصوت خفيض :

ـ هذا هو شيخ « الكرامة » .

وكان قد أصبح على بضعة امتار منا ، فلاحظنا انه يحدجنا بنظرة غاضبة ، ثم اذا به يتوقف فجأة ، ويتوجه الى الفدائي سائلا بلهجة تنم عن استنكار :

ـ من هم هؤلاء ؟

فأجابه الفدائي بصوت لم يكن شاقا تمييز ما فيه من توقير وتهيب :

ـ ضيوف .

قال الشيخ باللهجة نفسها :

ـ أجانب هم ام عرب ؟

فسارعت أجيبه ، كأنما كنت أخشى الا يصدق الفدائي لو أجابه :

ـ بل عرب يا سيدي الشيخ !

وصاح الشيخ فجأة بصوت ارتعدت له فرائصي :

ـ عرب وبلا سلاح ؟ بلا سلاح ؟ الا تخجلون ؟ أليس هذا عيبا ؟

واسقط في يد الفدائي ، فلم يعرف بم يجيب . وقال لي رفيقي الشاعر ، كأنه يحاول ان يسري عن نفسه وعن نفسي :

ـ انه على حق .

ولم أعلق بكلمة . ولكن مرافقنا الفدائي وجد ان لا مناص له من ان يحاول تخفيف حدة التوتر في الجو الذي خلقه هذا اللقاء الذي لم يكن في برنامج الزيارة ، فاذا هو يقول بلهجة استرضاء :

ـ لا بأس يا سيدي الشيخ . انهما ضيفان .

وكنا نتوقع ان تكون هذه حجة كافية ترد الشيخ الى شيء من حسن اللياقة ، ولكننا فوجئنا بصوته ينفجر صارخا بالفدائي :

ـ يقولون انهم عرب ، فتقول انهم ضيوف ؟ أليس العرب هم أصحاب الارض هنا ، مثلنا تماما ؟

واكتفى الفدائي بهز رأسه ، هذه المرة ، موافقا .

وحمدت له هذا الجواب الصامت ، بعد ان خيل الي ان كل عذر يقدمه سيكون أشبه بمزيد من الغوص في رمال متحركة . ولكننا رأيناه يقترب من الشيخ خطوة ، ويقول له بصوت ملاطف :

ـ لا بأس يا سيدي الشيخ . انهما من الادباء . شاعر وصحفي .

وأراح الشيخ بندقيته على الارض بحيث أمسكها من فوهتها ، فتنفست الصعداء ، وقلت في نفسي : « لقد عرف اخيرا هويتنا » . والتفت الى صديقي الشاعر فلمحت آثار الرضى على جبينه . ولكننا ما لبثنا ان ادركنا ان حركة الشيخ هذه لم تكن الا تمهيدا لتعبير أقسى وابعد أثرا وان كان أهدأ مظهرا . ذلك انه قال بعد لحظات ، بصوت مترع بالسخرية :

ـ اما كفانا شعرا وصحافة ؟ اما كفانا كلاما ؟

ولم يدع للفدائي ، ولا للصحفي ولا للشاعر مجالا للتعليق او التفكير بما قال ، اذ ما كاد يتم عبارته حتى رفع بندقيته وأطلق منها رصاصة .

وأحسست رعشة في أطرافي .

ثم رأينا الشيخ يستدير ، ويمضي مبتعدا عنا بخطوة خفيفة ، ويختفي فجأة كأنه ارتفع الى السماء او غاص بين الانقاض .

***

حين بدأ العدو يقصف المدينة بمدفعيته وطائراته ، كان الشيخ عطا في زيارة قريب له مريض . وبالرغم من ان قريبه ألح عليه يستبقيه ريثما ينتهي القصف ، فقد أسرع في الخروج ليدرك بيته ، خوفا على زوجته وابنه الوحيد . وقد رأى في طريقه منزلا ينهار تحت القنابل ، وسمع صراخا ينبعث عبر النوافذ ، صراخ اطفال ونساء يأخذهم الهول من أصوات الانفجارات او يصابون بالشظايا والرصاص . وقد حدثته نفسه غير مرة ، وهو يمشي بحذاء المنازل على حذر ، ان يصعد الى بعض الدور التي كان ينطلق منها الصراخ ليضمد جريحا او يساعد في نقل مصاب ، ولكن صورة زوجته وابنه ، وهو يتمثلهما في ضميره مذعورين يناديانه مستغيثين ، كانت تستحث خطاه ، فلا يشعر بخطر يترصده في منعطف او زاوية . بيد انه اضطر ذات لحظة الى التوقف اذ شاهد طائرة هليكوبتر تمر منخفضة ، ثم تحاول الهبوط في الشارع الرئيسي العريض . وقد صاح به بعض الفدائيين ان قف يا شيخ عطا ، فوقف ، واخذوا يطلقون نيران رشاشاتهم على الطائرة فعطبوها . غير ان عدة جنود اسرائيليين خرجوا منها مدججين بأسلحتهم ، فراحوا يقذفون البيوت بقنابل يدوية ، ويصبون نارهم على كل شيء يحسبونه يتحرك ، ولو كان ورقة على شجرة . وعبر حاجز في حديقة البيت الذي احتمى بجداره ، شاهد الشيخ عطا ، ولعله كان الشاهد الوحيد ، معركة بالسلاح الابيض قامت بين مجموعة من الفدائيين وعدد من جنود العدو . كان جسمه ، وهو في تربصه ذاك ، ينتفض غضبا ، ويده ترتجف شوقا الى سلاح ، أي سلاح ، حتى ولو كان مدية مطبخ ، يستطيع به ان يشارك في المعركة وينقض على واحد من اولئك الذين كانوا ، بآلاتهم الجهنمية ، يزرعون القتلى بين مواطني مدينته وينشرون الدمار في أرجائها .

وقد روى الشيخ عطا ، فيما بعد ، انه رأى ، عبر حاجزه ذاك ، فتى لا يتجاوز السادسة عشرة ، يقذف بنفسه من شرفة احد المنازل المقابلة ، فيسقط على جندي اسرائيلي كان يطلق رشاشه في كل صوب . رأى الشيخ عطا الفتى العربي ينقض بخنجر كان يحمله فيقتل اليهودي ، ثم يأخذ منه رشاشه ، ويحاول ان يطلقه باتجاه جنود آخرين كانوا مشتبكين مع بعض الفدائيين ، ولكنه يخفق في اطلاق الرشاش ، فيقذف به بعيدا ، ويمرق كالسهم نحو جندي آخر كان يوليه ظهره ، فيتصارعان دقيقة قبل ان يتمكن من طعنه ، واذ ذاك فقط ، اخترقت صدره رصاصة ، فسقط فوق الجندي الذي قتله .

ويقول الشيخ عطا : « حين رأيت هذا الفتى يفعل ذلك كله ثم يسقط ، تمنيت من اعماق ضميري لو انه

يصدر هذا الشهر عن دار دمشق

ارنستو تشي غويفارا

المؤلفات الثورية

١٩٥٩ ـ ١٩٦٧

تراث غيفارا الكامل بعد انتصار الثورة في كوبا
بعض محتويات الكتاب

الدور الاجتماعي للجيش الثائر ـ السيادة السياسية والاستقلال الاقتصادي ـ الى شباب اميركا اللاتينية ـ ما هو الشباب الشيوعي ـ ضد البيروقراطية ـ الحزب الماركسي اللينيني ـ حول مفهوم القيمة ـ حول نظام التحويل ـ خطاب في جنيف ـ خطاب في الجزائر ـ الاشتراكية والانسان في كوبا ـ خلق فيتنامين ـ او ثلاثة او اكثر ـ هذا هو شعارنا ـ ومواضيع اخرى .

كان ولدي الوحيد رضا ، اذن لكان عوضني عن احساسي باللاجدوى والعجز الذي كنت أعانيه وانا أشاهد فتية المدينة واولادها يقاتلون ويستشهدون » .

ولكن خيبة الشيخ عطا كانت أشد ، ولوعته أعمق ، حين وصل الى منزله ، بعد ان خفت صوت الرصاص وانسحب العدو من المدينة ، فألفاه أنقاضا ، ووجد زوجته وابنه رضا قتيلين فيه .

واكتفى الشيخ عطا بأن تمتم : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انا لله وانا اليه راجعون .

ولما كان سكان المدينة قد دفنوا قتلاهم واخلوا جرحاهم ، ونزحوا الى القرى المجاورة ، فقد استعان الشيخ عطا ببعض الفدائيين على دفن زوجته وابنه تحت شجرة في حديقة المنزل لم تدركها القنابل . وجلس على قبرهما ساعة يتلو القرآن ويبكي أحيانا . ثم عزم على ان يأوي الى الجامع الذي كان اماما له وخطيبا ، بعد ان هدم منزله . ولكنه حين توجه اليه ، وجده قد هدم هو أيضا ، وسقطت مئذنته وانهار محرابه .

***

قال مرافقنا الفدائي :

ـ عند فجر اليوم التالي ، كان صوت القنابل وازيز الرصاص ما يزال يئن في مسامعنا ، حين ارتفع في سماء « الكرامة » صوت الشيخ عطا يؤذن للصلاة : « الله اكبر . حي على الفلاح . الصلاة خير من النوم . الله اكبر » ولم يكن في المدينة نائمون ، فقد نزح عنها أهلها الذين كان الارق والذكريات والاشباح تعذبهم وهم في طريقهم الى مخيماتهم الجديدة . لم يكن في المدينة الا اولئك الفدائيون الذين قتل بعضهم ودفنوا ، وجرح بعضهم فنقلوا الى القرى المجاورة ، وأصر الباقون على ان يظلوا في المدينة ليستطيعوا يوماً أن يبنوها من جديد . وهؤلاء هم الذين اصغوا الى أذان الشيخ عطا ، فسعوا اليه عند الفجر ، فاذا هو قائم على انقاض الجامع ، منتصب كأنه المئذنة ، فأقام الصلاة وأم المسلمين من الفدائيين ، بينما وقف المسيحيون منهم يحرسونهم خاشعين .

قال مرافقنا الفدائي :

ـ وحين فرغنا من الصلاة ، قام الشيخ عطا ، فقال انه لن يلقي خطبة ، بل سيقول كلمتين اثنتين فحسب . وقال انه قد فقد ابنه أمس ، ولكنه اليوم يعتبرنا جميعا اولاده ، وسألنا ان كنا نرضى به أبا . فأومأنا برؤوسنا ، ونهض بعضنا اليه يريد ان يقبل يده ، فسحبها قائلا : « لا . انها لن تكون بعد اليوم للتقبيل . » وطلب منا بندقية ، وقال انه يريد ان يتدرب على السلاح ويشاركنا حراسة المدينة حتى يوافيه الاجل .

***

ظللنا بضع ساعات في « الكرامة » نجوس خلال انقاضها ، ونحن نستمع الى مرافقنا يحدثنا عن معركتها ويروي لنا احداث يومها الطويل .

وذات لحظة ، أحسست بتعب في ساقي من اثر المشي ، وصداع في رأسي من اثر الشمس ، فهمست لصديقي الشاعر بما أحسه ، فقال انه يعاني مثل ذلك تقريبا .

وزعمت لمرافقنا الفدائي اننا على موعد بعد ساعة في عمان ، وانه قد آن لنا ان نعود .

واستقللنا سيارة « الكرايزلر » التي كانت قد وضعت تحت تصرفنا ، واستسلمنا فيها للراحة والهدوء.

ولكننا حين بلغنا تخوم المدينة ، انبثق الشيخ عطا عند تلة صغيرة قبالتنا ، كأنه مئذنة .

وكان يحيط به ، هذه المرة ، خمسة من الفدائيين لاحظنا انهم جميعا لا يتجاوزون السابعة عشرة .

قال مرافقنا الفدائي :

ـ ها هو الشيخ عطا ، وها هم اولاده .

وحين حاذت السيارة التلة ، اطللت انا وصديقي الشاعر من النافذة ، ومددنا يدينا نحيي شيخ الكرامة .

قال لي الشاعر ، حين تجاوزنا التلة :

ـ انه لا يزال غاضبا . الم تر عينيه ؟

والتفتنا ثانية الى الخلف ، فرأينا الشيخ عطا رافعا بندقيته ، ثم سمعنا طلقة رصاص .

سهيل ادريس

صدر حديثا عن دار دمشق

النظرية المادية في المعرفة

تأليف روجيه غارودي

نرجمة ابراهيم قريط

السعر ٨٥٠ ق.

يصدر قريبا :

ديالكتيك الطبيعة

لفريدريك انجلز

المادية والنقد التجريبي

تأليف لينين

دار دمشق للنشر والتوزيع

دمشق ـ شارع بور سعيد